

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاخْلُفْ
عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨))

صلى الله العظيم

(سورة طه من الآية ٢٥ الي الآية ٢٨)

اهداء

اهدى هذا الكتاب الى روح حماتى الطاهرة " ليلى ادريسى "
ألف رحمة ونور عليها واسكنها الله فسيح جناته

المؤلف

د/ أهداب محمد حسنى

تقديم

بقلم ا.د/ محمد الجهيني

أستاذ الآثار الإسلامية وعميد كلية الآثار جامعة جنوب الوادي

يعتبر فن التصوير الإسلامي بمدارسه المختلفة المدرسة العربية، والإيرانية، والهندية المغولية، والتركية العثمانية سجلا حافلا لإبداع الأمة، ورمزاً من رموز عبقريتها، وذاكرة حافظة لقيمها، ومقوما من مقومات هويتها الحضارية وخصوصيتها التي تتفرد بها بين الثقافات والحضارات. وهو من الميادين المهمة التي أقبل عليها المسلمون لتزيين الجدران أو لتحلية وتجميل المخطوطات الأدبية والعلمية والتاريخية بالصور التي توضح حوادثها وتشرح قصصها. وكذلك تصميم صفحاتها وأغلفتها وقد حفلت المخطوطات التي تتبع المدرسة العثمانية في تركيا ومصر بالكثير من التصاوير الأدبية التي كان لأغطية رؤوسها المختلفة السبب المباشر والجوهري في تصدي الدكتور / أهداب محمد حسني لها بغية معرفة تكوينها ومادتها الخام ومسميات أجزائها وأسواقها وأسعارها وألوانها ومصطلحاتها وتأصيل أشكالها، وقد بذلت في سبيل ذلك جهدا مضنيا فجمعت الكثير من التصاوير التي بها تلك العمايم، وكذلك المخطوطات والمصادر والمراجع التي تذكرها، فضلا عن ترجمة المؤلفات والبحوث الأجنبية بالإضافة إلى الزيارات الميدانية للمتاحف ولدور الكتب والمخطوطات، وهو ما ساهم بشكل مباشر في كشف ما اكتنف الموضوع من غموض، وقد تناولت في هذا الكتاب من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب المادة التي يتضمنها متن هذا الكتاب حيث عرضت في المقدمة إلى أسباب دراستها لهذا الموضوع، ومصادره ومراجعته والمشكلات التي واجهتها وكيفية التغلب عليها وتناولت في التمهيد أصل الأتراك العثمانيين وموطنهم الأول وقيام هذه الدولة وجذورها للوصول إلى أصول العمامة العثمانية التي ما هي إلا خليط من العادات الموروثة من العلاقات والاتفاقيات بين تركيا واسيا الوسطى وهي نتيجة للتأثيرات الشامانية والثقافة البيزنطية والعربية الإسلامية التي عاشت بين المجتمعات التي كانت موجودة في الأناضول وكذا التي

انتقلت إليها ، أما الباب الأول فقد أفردته للعمامة الملفوفة والذي اشتمل علي ثلاثة فصول اختص الأول بمسمياتها ومصطلحاتها وأنواعها والثاني بطائفة صناعتها وأسائهم والفصل الثالث تناولت فيه العمامة الملفوفة في تصاوير المخطوطات وعلي التحف التطبيقية، بدءا بالمدرسة العربية في بغداد ، ثم في المدرسة الإيرانية ، وفي سبيل ذلك قامت بوصف وتحليل الكثير من المناظر التصويرية وشخصوها ، محاولة منها لتوضيح المراحل التطورية التي مرت بها تلك العمامة من حيث القماش المستخدم في صنعها وطريقة لفها وألوانها التي اختص بها بعض طبقات المجتمع في تركيا ومصر، أما الباب الثاني فقد اختص بالعمامة القاووق وقد تضمن ثلاثة فصول عرضت في الفصل الأول للقاووق وكيفية صناعته ومصطلحاته ، والفصل الثاني تناولت فيه أشكال القاووق وطرزه في ضوء تصاوير المخطوطات وأرباب الوظائف المختلفة وشواهد القبور ، أما الفصل الثالث فقد اختص بالدراسة التحليلية المقارنة بين هيئة القاووق وأشكاله في تركيا ومصر في ضوء ما توصلت إليه من تصاوير وشواهد قبور سجلت هيئات عديدة للقاووق ، فضلا عن تناول الأسواق التي تخصصت في بيعه وبائعه ، وكم كانت المؤلفة موفقة في كتابة هذا الباب الذي ضم مسميات عديدة لهذه العمامة والمصطلح الخاص بكل مسمي وأرباب الوظائف التي اعتمرتها ، ونجحت نجاحا باهرا في التفريق بين كل نوع والفترة الزمنية التي شاع بها وهو ما يساهم بشكل كبير في تأريخ الكثير من التصاوير ، أما الباب الثالث والأخير فقد اختص بالعمامة الطربوش وقد قسمته أيضا إلى ثلاثة فصول الأول عن أماكن صناعته والثاني عن المادة الخام وأدوات الصناعة والثالث عن مسمياته وألوانه في المصادر والوثائق ، وهو أيضا جهد كبير أنهت به المؤلفة النوع الثالث من العمام التي اعتمرها شخوص التصاوير في فترة متأخرة من عمر الدولة العثمانية بعد دراستها وصفا وتحليلا فضلا عن إشارتها لأرباب الوظائف التي اتخذت تلك العمامة وتميزت بها ، وقد زودت المؤلفة الكتاب بعدد كبير من الأشكال التوضيحية واللوحات التي أثرت المتن ، ودلت دلالة واضحة علي مدي ما تتمتع به من مهارات بحثية ساهمت في تقديم دراسة علمية جديدة جادة ومبتكرة تخلو منها المكتبة العربية ، وأنا إذ أقدم هذا الكتاب للقارئ العربي المتخصص

أرجو أن يكون إضافة لما تضمه مكتبته العلمية من مراجع ، كما أرجو للقارئ العادي أن يكون منهلاً لتزويده بما كان يجهله عن العمامة العثمانية. ولا يبقى في النهاية إلا أن اهناً الدكتور أهداب علي هذا السفر الهام في مجال الآثار الإسلامية عامة والتصوير الإسلامي خاصة ، املاً أن يكون الكتاب نقطة انطلاق لأبحاث أخرى جادة.

والله الموفق

د. / محمد الجهيني

عميد كلية الآثار جامعة جنوب الوادي

التمهيد

أصل الأتراك العثمانيين وموطنهم الأول:

العثمانيون قوم من الأتراك، ينتسبون - من وجهة النظر الأثنية^(١) - إلى العرق الأصفر أو العرق المغولي، وهو العرق الذي ينتسب إلى المغول والصينيين وغيرهم من شعوب آسيا الشرقية وكان موطن الأتراك الأول في آسيا الوسطى، في البوادي الواقعة بين جبال ألطاي شرقاً وبحر قزوين في الغرب، وقد انقسموا إلى عشائر وقبائل عديدة منها عشيرة "قايي"^(٢)، التي نزحت في عهد زعيمها "كندز ألب" إلى المراعى الواقعة شمالي

(١) الأثنية : هي مجموعة بشرية لها خصائص مميزة تحددها الثقافة المشتركة والهوية، وهي تربط أعضائها مع بعضهم بعضاً، عادة على أسس مشتركة. ولها اعتراف الآخرين كمجموعة متميزة لها أسس مشتركة ثقافية ولغوية ودينية، أو سمات سلوكية أو بيولوجية، وحول الفرق بين مفهوم العرقية وبين مصطلح الأثنية، فإنه في اللغة العربية نقلت الكلمة الأجنبية Ethnos إلى اللغة العربية بترجيتين، حيث ترجمت حرفياً إلى "إثنية" ودلالياً إلى "عرقية"، ويقل استعمال مصطلح إثنية من طرف الباحثين العرب، عكس "العرقية" حتى أن أغلب القواميس العربية تترجم ethnicity إلى "عرقية" بدلاً من إثنية.

- ابن فاضل فليب : قاموس المصطلحات القانونية (فرنسي عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، لبنان، ٢٠٠٤، ص ٢٥٠

(٢) قايي : هي قبيلة من إحدى قبائل الغز (الايغور) التي كانت - هي وغيرها من القبائل التركية - تنزح على أزمنة متباعدة حيناً من مناطق شرق آسيا ووسطها؛ بحثاً عن المراعى الجيدة إلى غرب آسيا، نحو بلاد الأناضول، في هجرة جماعية على شكل أسر أو أفخاذ، وربما قبائل، فإذا أمحلت مناطق الترك الأصلية في شرق آسيا ووسطها، اندفع قسم منهم إلى المناطق الخصبة غرباً، وقد ذكر بعض المؤرخين : إن قبيلة "قايي" تنتمي إلى المغول، فإن هذا الرأي كما يقول بارتولد قد جرح بالدراسات التركية الحديثة، وبالمعلومات التي أوردها المؤرخ اللغوي محمود الكشغري، صاحب "ديوان لغات الترك"، الذي فرق بين قبيلة قايي التي ليست تركية خالصة، وبين قبيلة قايي أو قيق الغزية، التي ينتمي إليها العثمانيون؛ بدليل أن الغز لم يحفظ في تاريخهم أنهم كُونُوا حكومة في منغوليا الموطن الأصلي للمغول، ثم إن الملامح الجسمية المغولية تختلف اختلافاً بيناً عن الملامح الجسمية التركية، ولكن تعد قبيلة قايي من أهم

القبائل الغزية التركية، وقد هاجرت من الشرق إلى الغرب، وأرطغرل وابنه عثمان ينتميان إلى عشيرة صغيرة من هذه القبيلة، التي توزعت بطنونها وعشائرها في مناطق مهمة من وسط آسيا وغربها، وامتزجت بقبائل =

غربي أرمينيا قرب مدينة خلاط، عندما استولى المغول بقيادة جنكيز خان^(١) على خراسان^(٢)، قد يكتنفها الحياة السياسية المبكرة لهذه العشيرة الغموض، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، وإن كل ما يعرف عنها هو استقرارها في تلك المنطقة لفترة من الزمن^(٣)، وتشير الكثير من المعلومات الي أن هذه العشيرة تركت منطقة خلاط حوالى سنة

= تركية أخرى؛ بل إن الأقسام التى وصلت إلى منطقة الأناضول توزعت في مناطق مختلفة منها، ومن هنا يمكن القول بأن قبيلة قايي وفدت إلى الأناضول في فترات مختلفة من العهد السلجوقي.

- عبد الرحمن بن على العرينى: قيام الدولة العثمانية والتحالف الصليبي ضدها، مجلة الدرعية، السنة الثالثة، العدد العاشر، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م، الموقع متاح على :

- <http://www.alukah.net/culture/>, last visit ١٩-٢٠١٣

(١) جنكيز خان: أو خاقان هو إمبراطور الدولة المنغولية والتي إعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ وكلمة جنكيز خان " تعنى: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، أو القوى. حسب الترجمات المختلفة من اللغة المنغولية للعربية واسمه الأصل "تيموجين". وكان رجلاً سفاكاً للدماء. وكان كذلك قائداً عسكرياً شديداً البأس. وكانت له القدرة على تجميع الناس حوله. وبدأ في التوسع تدريجياً في المناطق المحيطة به، وسرعان ما اتسعت مملكته حتى بلغت حدودها من كوريا شرقاً إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غرباً، ومن سهول سيبيريا شمالاً إلى بحر الصين جنوباً.. أي أنها كانت تضم من دول العالم حالياً: (الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا. إلى جانب مملكة لاوس وميانمار ونيبال وبوتان!

فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٤٢

(٢) خراسان: تعنى بلاد الشمس المشرقة، وهى كلمة مركبة من خر بمعنى الشمس واسان كأنه اصل الشىء ومكانه.

انظر: ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادي) ت ٢٦٢هـ: معجم البلدان، ج ٢، دار صادر، بيروت، ص ٢١٨، وهى تعد من اكبر أقاليم إيران ويشمل مساحة كبيرة في الشرق

- James (p) & Fraser (E) ; Historical and descriptive account of Persia from the earliest stage to the present time , the Bradley company publishers , new york , ١٨٣٣, p: ١٩٢: ١٩٤

(٣) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة د/ أحمد السعيد سليمان، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ص ١١٩: ١٢٢

٦٢٥هـ/ ١٢٢٩م تحت ضغط الأحداث العسكرية التي شهدتها المنطقة، بفعل الحروب التي أثارها السلطان جلال الدين الخوارزمي وامتدت إلى حوض نهر دجلة^(١).

قيام الدولة العثمانية (٦٩٩-٨٥٣/١٢٩٩-١٤٥٣م) :

توفي سليمان شاه "كندز ألب" في العام التالي لنزوح عشيرته إلى حوض دجلة، فترأس العشيرة ابنه سليمان، ثم حفيده "أرطغرل"^(٢) الذي ارتحل مع عشيرته إلى مدينة أذربيجان^(٣)،

(١) هو نهر يقع في جنوب شرق الاناضول في تركيا

(٢) يلقب دائماً باسم الغازي وهو والد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية وكان ارطغرل قائدا للقائى، وعندما وصل أرطغرل بفرسانه ال ٤٠٠ لمساعدة السلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين كان بذلك قد مهد لوضع الأساس للإمبراطورية العثمانية. وفي عام ١٢٢٧م أصبح أرطغرل قائداً لجماعة القايى للأتراك الاغوز نتيجة مساعدته للسلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين، تلقى ارطغرل أراضى في منطقة جبلية بالقرب من أنقرة (الآن أنقرة) (من سلطان السلاجقة الأتراك علاء الدين السلجوقي فقد منح أرطغرل هذه الأرض بمثابة هدية في مقابل أن يخدم أرطغرل بقواته أى ثورة في المنطقة يقوم بها بقايا البيزنطيين أو أى جماعة أخرى، قام ارطغرل بعد ذلك بضم قرية سوغت التي غزاها عام ١٢٣١م. إلى الأراضى التي تحت سيطرته مكونتاً إقطاعية خاصة به. أصبحت هذه القرية سوغت عاصمة للإمبراطورية العثمانية عام ١٢٩٩م. تحت حكم عثمان الأول ابن ارطغرل، كان لارطغرل ابنين اخرين غير عثمان هما ساوجى وغندجوز

- ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية، اعتنى بها نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٧

(٣) أذربيجان: هى دولة ذات غالبية عرقية تركية ودينية شيعية ولقد حدد الجغرافيون العرب موقع أذربيجان وضبطوا اسمها، والنسبة إليها ويذكر ياقوت الحموى "ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجبل والطَّرم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهى اليوم قصبتها وأكبر مدنها، وكانت قصبتها قديماً المَراغة، ومن مدنها خُوى، وسَلَماس، وأرمية، وأزدييل، ومَرَند، وغير ذلك. وهو صُقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال" ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩. وقد تعرضت أذربيجان للتجزئة جراء ما تعرضت له من مؤامرات خارجية، حيث قسمت حسبها أراد جيرانها الأقوياء، فيحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الشمال جمهورية داغستان المستقلة استقلالاً إدارياً، ومن الشمال الغربى جمهورية جورجيا، ومن الجنوب الغربى جمهورية أرمينيا، ومن الجنوب تركيا، وأذربيجان الإيرانية الذين يعدوا معظم سكانها من القبائل التركية الأصل واللغة. للمزيد انظر:

- شرين عبد النعيم: ايران ومدنها الشهيرة، دراسة جغرافية تاريخية حضارية، ج ١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦٥،

- محمود السيد الدغيم: أذربيجان بين الماضى والحاضر، مجلة البيان، ٢٦-٤-٢٠١٣، الموقع متاح على:

- <http://www.dr-mahmoud.com>, last visit ١٩-٨-٢٠١٣

وكانت مسرحاً للقتال بين السلاجقة^(١) والخوارزميين^(٢)، فالتحق
بخدمة السلطان علاء الدين كيكوناد سلطان قونية^(٣)، إحدى الإمارات السلجوقية

(١) سلطنة سلاجقة الروم: هم سلطنة للسلاجقة الأتراك وجدت في القرون الوسطى، في الفترة ما بين ١٠٧٧ إلى ١٣٠٧ وكانت عاصمتهم في البداية إزنيق ثم انتقلت إلى قونية، وقد امتدت السلطنة في أوجها عبر وسط الأناضول، وقد صهرت معها العديد من القبائل التركية. وقد اشتق اسم الروم من اسم الإمبراطورية الرومانية، وقد دعى السلاجقة على أراضيهم اسم الروم لأنها أسست على أراضي، اعتبرت لفترة طويلة بأنها رومانية (بيزنطية) وقد دعت هذه الدولة أحياناً باسم سلطنة قونية أو سلطنة أيقونية حسب المصادر الغربية القديمة

-Alexander Kazhdan; "Rūm" The Oxford Dictionary of Byzantium (Oxford University Press, ١٩٩١), vol. ٣, p. ١٨١٦

(٢) الخوارزميون: هم سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى، وغرب إيران بين سنوات (١٢٢٠-١٠٧٧) كانوا اتباع إقطاعيين للسلاجقة ثم استقلوا وأصبحوا حكام مستقلين في القرن ١١. وتمتعت الدولة باستقلالية كبيرة. بدأ الخوارزميون بالتوسع في خراسان، ثم دخلوا في صراع منذ عام ١١٥٧ مع السلاجقة ضم إل أرسلان (١١٧٢-١١٥٦) إليه كل المناطق الشرقية من دولة السلاجقة. استطاع علاء الدين، تكش، (١٢٠٠-١١٧٢) أن يخلف السلاجقة في بلاد فارس، عند استيلاءه على خراسان عام ١١٨٧، ثم توسعه حتى إقليم الري عام ١١٩٢. أصبح بعدها حامي الخلافة العباسية الجديد.

- فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ص ٥٠

(٣) قونية: امتزج في هذه المدينة الكثير من الحضارات والثقافات العربية والرومانية والعثمانية، وهى ذات أراضي خضراء منبسطة احتضنت جلال الدين الرومى رمز التسامح بين العرب والعجم، ولقد كانت ولا تزال من أهم وأكبر المدن في تركيا تحمل قونية الكائنة في جنوب غربى تركيا تاريخاً عظيماً تحكيه للأجيال الجديدة، فلقد كانت ولا تزال من أهم وأبرز المدن في تركيا، سيطر عليها أهل ليديا في القرن السادس ق.م، والفرس في الرابع ق.م، والإسكندر وسلوكوس، ومملكة «برغام» في القرن الثانى ق.م، والروم عام ٣٩٥ ق.م، والساسانيون في أوائل القرن السابع، والأمويون بقيادة معاوية بن أبى سفيان. ثم ظلت قونية من محافظات البيزنطيين حتى القرن العاشر، ومع دخول العرب المسلمين لها بعدما فتح باب الأناضول للأتراك المسلمين، بنيت الدولة السلجوقية الأناضولية عام ١٠٧٤م، وكانت عاصمتها مدينة «إزنيك» عام ١٠٩٧م، في الحملات الصليبية، أصبحت قونية عاصمة السلاجقة حيث بلغت ذروة مجدها وامتلات بالآثار المعيارية وأصبحت من أعمر المدن في الأناضول. وقد حاصرها = الامبراطور الألماني «فريدريك بربروسا» عام ١١٩٠م لكنه لم يظفر بها وظلت تحت سيطرة السلاجقة حتى تولى حكمها بنو قرامان، ثم آلت إلى الأتراك العثمانيين عام ١٤٦٧م.

-Mevlana guldestesi ; Konya Buyuk sehir Belediyes , Konya , ١٩٩٣ , p ٤٢

التي تأسست عقب انحلال دولة السلاجقة العظام^(١) وسانده في حروبه ضد الخوارزميين، فكافأه السلطان السلجوقي بأن أقطع عشيرته بعض الأراضي الخصبة قرب مدينة أنقرة^(٢) وظل أرطغرل حليفاً للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة أخرى في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية، في المنطقة المعروفة باسم "سوغوت" حول مدينة أسكى شهر^(٣)، حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة إلى

(١) دولة السلاجقة العظام: ينتسبون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية كان يقودها زعيم يدعى سلجوق (القرن ٤ م). سكنت هذه القبيلة في تركستان وقد استقر الترحال سلجوق في بخارى حيث اعتنق الإسلام على المذهب السني. ثم انتشر الإسلام بين السلاجقة ومالوا كذلك إلى المذهب ذاته لذا أغاروا على الدول الشيعية في بلاد فارس. وفي ١٠٣٧م تمكن طغرل (من احفاد سلجوق) من الاستيلاء على خراسان واستمر في التقدم حتى بغداد مقر الخلافة العباسية فاعترف به الخليفة القائم ومنحه لقب ملك الشرق والغرب. وقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد، ونصروا المذهب السني بعد أن أوشكت دولة الخلافة على الانهيار بين النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي (الفاطمي) في مصر والشام، فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تماماً وتصدوا للخلافة العبيدية الفاطمية، فقد كان النفوذ البويهي الشيعي مسيطرًا على بغداد والخليفة العباسي.

للمزيد انظر: محمد عبد العظيم ابو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٣، ص - ص ٢٧-٣٨

(٢) أنقرة: هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول. تقع أنقرة على هضبة الأناضول بوسط تركيا يعود تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائي الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس، ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان، وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي) ت ٦٢٦ هـ: معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٤،

ج ١، ص ١٢٠،

(٣) أسكى شهر: هي مدينة تقع في الشمال الغربي لتركيا، تمتاز المدينة بمعالم أثرية تاريخية لجميع الإمبراطوريات والشعوب التي عاشت وترعرعت في المنطقة ككل، منها: الدولة العثمانية، سلاجقة الروم، الإمبراطورية البيزنطية، وشعب فريجيا... وجل الجغرافيين القدامى وصفوها بالمنطقة الخلابة في الأناضول.

- الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٠

جانب إمارات تركمانية سبقتها إلى المنطقة^(١).

علا شأن أرطغرل لدى السلطان بعد أن أثبت إخلاصه للسلاجقة، وأظهرت عشيرته كفاءة قتالية عالية في كل معركة ووجدت دومًا في مقدمة الجيوش وتمّ النصر على يدي أبنائها^(٢)، فكافأه السلطان بأن خلع عليه لقب "أوج بكى"، أى محافظ الحدود، اعترافًا بعظم أمره^(٣).

غير أن أرطغرل كان ذا أطماع سياسية بعيدة، فلم يقنع بهذه المنطقة التى أقطعه إياها السلطان السلجوقي، ولا باللقب الذى ظفر به، ولا بمهمة حراسة الحدود والحفاظ عليها؛ بل شرع يهاجم باسم السلطان ممتلكات البيزنطيين فى الأناضول^(٤) فاستولى على مدينة أسكى شهر وضمها إلى أملاكه، واستطاع أن يوسع أراضيه خلال مدة نصف قرن قضاها كأمير على مقاطعة حدودية، وتوفى في سنة ١٢٨١م عن عمر يُناهز التسعين عامًا^(٥)، بعد أن خلع عليه لقب كبير آخر هو "غازى" تقديرًا لفتوحاته وغزواته^(٦).

(١) محمد فؤاد كوبرلى: المرجع السابق، ص ١٢٥

(٢) محمد فريد بك المحامى: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقى، دار النفائس، ط ١٠، القاهرة ٢٠٠٦، ص ١١٥

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥

(٤) Stanford J. Shaw & Ezel Kural Shaw; History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Volume ١, Empire of the Gazis, Cambridge university press, new york, ١٩٧٧, p ١٣

(٥) محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٦

(٦) Peter F. Sugar; Southeastern Europe under Ottoman rule, ١٣٥٤-١٨٠٤, University of Washington Press, ١٩٧٧, p ١٤r

وبعد أرطغرل تولى زعامة الامارة ابنه البكر عثمان^(١) فأخلص الولاء للدولة السلجوقية على الرغم مما كانت تتخبط فيه من اضطراب وما كان يتهدهدها من اخطار^(٢) أظهر عثمان في بداية عهده براعة سياسية في علاقاته مع جيرانه، فعقد تحالفات مع الإمارات التركمانية المجاورة، ووجه نشاطه العسكري بفتح الأراضي البيزنطية كافة، وإدخالها ضمن الأراضي الإسلامية وشجعه على ذلك حالة الضعف التي دبت في جسم الإمبراطورية البيزنطية وأجهزتها، وانهاكها بالحروب في اوروبا فأتاح له ذلك سهولة التوسع باتجاه غربي الأناضول، وفي عبور الدردنيل إلى أوروبا الشرقية الجنوبية. ومن الناحية الإدارية، فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون في عهده شوطاً كبيراً على طريق التحول من نظام القبيلة المتنقلة إلى نظام الإدارة المستقرة، ما ساعدها على توطين مركزها وتطورها سرّياً إلى دولة كبرى وقد أبدى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث تقديره العميق لخدمات عثمان، فمنحه لقب "عثمان غازي حارس الحدود العالي الجاه، عثمان باشا"^(٣).

أقدم عثمان بعد أن ثبت في إمارته على توسيع حدودها على حساب البيزنطيين، ففي عام ١٢٩١م. فتح مدينة "قره جه حصار" الواقعة إلى الجنوب من سوغوت وجعلها قاعدة له، وأمر بإقامة الخطبة باسمه^(٤)، وهو أول مظهر من مظاهر السيادة والسلطة، ومنها قاد عشيرته إلى بحر مرمرة والبحر الأسود^(٥)، وحين تغلب المغول

(١) عثمان الاول: عثمان بن أرطغرل أو (عثمان الأول) بن سليمان شاه ٦٥٦هـ/١٢٥٨م - ١٣٢٦م - مؤسس الدولة العثمانية وأول سلاطينها، شهدت سنة مولده غزوا المغول بقيادة هولاكو لبغداد تولى الحكم عام ٦٨٧هـ / ١٣٢٤ - ١٢٩٩ م.

- إبراهيم بك حليم: المرجع السابق، ص ٤٥

(٢) شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان: المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١٦

(٣) محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٦

(٤) Stanford J. Shaw & Ezel Kural Shaw; Op cit, pp ١٣-١٤

(٥) شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان: المرجع السابق، ص ١١٦

على دولة قونية السلجوقية ، سارع عثمان إلى إعلان استقلاله عن السلاجقة ولقب نفسه "باديشاه آل عثمان" أى عاهل آل عثمان^(١)، فكان بذلك المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التركية الكبرى التى نُسبت إليه لاحقاً وظل عثمان يحكم الدولة الجديدة بصفته سلطاناً مستقلاً حتى تاريخ أبريل ٦ سنة ١٣٢٦م، الموافق فيه ٢ جمادى الأولى سنة ٧٢٦هـ، عندما احتل ابنه "أورخان"^(٢)

مدينة بورصة^(٣) الواقعة على مقربة من بحر مرمرة، وفي هذه السنة توفي عثمان عن عمر يناهز السبعين عاماً بعد أن وضع أسس الدولة ومهد لها درب النمو والازدهار وخُلع عليه لقب آخر هو "قره عثمان"، وهو يعنى "عثمان الأسود، باللغة التركية الحديثة لكن يقصد به الشجاع أو الكبير أو العظيم فى التركية العثمانية"^(٤).

وبعد العرض السابق لجذور الأتراك وأصل العثمانيين نستطيع القول بأن ثقافة العمامة العثمانية ما هى إلا خليط من العادات الموروثة من العلاقات والاتفاقيات بين

(١) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ١١٦

(٢) أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل ثاني سلاطين الدولة العثمانية : توفي ٦٨٠هـ / فبراير ١٢٨١م ٧٦١م - هـ / مارس ١٣٦١م، خلف والده عثمان بن أرطغل عام ٦٢٧هـ / ١٣٢٤م، وعمره ستة وثلاثون عاماً، وقد اعتمد على أعوان أقوياء لوضع القوانين وسن الأنظمة أبرزهم أخوه الأمير علاء الدين الذي نصبه وزيراً له، وكذلك علاء الدين بن الحاج كمال الدين وقره خليل جاندارلي وفي عهده نقلت عاصمة الدولة العثمانية من اسكي شهر إلى بورصة .

- عدنان العطار : الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، دار الأصاله ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ص ٢٣ - ٢٤ -

(٣) بورصة: بروسة أو بورسة بالسین والصاد، هى رابع أكبر مدن تركيا مركز وعاصمة محافظة بورصة . تقع شمال غرب البلاد بين مدينتى أسطنبول وأنقرة ، كانت بورصة عاصمة لولاية عثمانية بين ١٣٢٦ و ١٣٦٥ . وفي فترة العثمانيين كان يطلق عليها (خداوندكار) وتعنى هدية الله، بينما أشهر ألقابها حالياً هو "Yeşil Bursa" وتعني "بورصة الخضراء" بسبب كثرة الحدائق العامة ، والمتنزهات الموجودة حولها، فضلاً عن الغابات المتنوعة الشاسعة المنتشرة حول المنطقة.

- ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٤

(٤) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ٢٧

تركيا وآسيا الوسطى وهى نتيجة للتأثيرات العربية الإسلامية والثقافة البيزنطية التى عاشت بين المجتمعات التى كانت موجودة فى الأناضول، وليس هناك شك أنه على مر مئات السنين شكلت العديد من العوامل هذه الثقافة^(١)، ومما هو جدير بالذكر أن أول مثال ملموس لأغطية الرأس التركية القديمة يرجع إلى عام ٧٣٢ ق. م من خلال رأس حجرية يسمى قول تيجين Kul Tigin على رأسه هيئة عبارة عن شكل دائرى وفق مقاس الرأس ومرتفع لأعلى على هيئة تشبه البورك، محفوظ بمتحف الهرميتاج بروسيا الذى ضم العديد من أغطية الرأس، التى تم جمعها من خلال حفريات مقابر تركيا وسط اسيا.

لوحة (١)^(٢)، وتبع هذا الغطاء المخصص للرأس مصادر مكتوبة فمثلا الكتاب الذى يحمل عنوان Divanu Lugati t – Turk للمؤلف محمود الكشغرى الذى ذكر أن غطاء الرأس التركى كان يسمى Börk وغيره من المسميات مثل Tolga أو Toğulga^(٣)، ويؤكد ذلك ما اثبتته المؤلف ايميل اسين عن تنوع أغطية الرأس فى تركيا والتى تعود إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م فى منطقة الشرق الأوسط، والتى كانت تسمى بورك حيث اعتمد على ١٤٣ مصدر ورسومات تزيد عن ١٢٠ شكلا فى كتابه الذى يحمل عنوانا باسم Bedük Börk. لوحة (٢)^(٤)، مما يشير الى أن الأتراك منذ فترة طويلة كان لديهم اهتمام كبير بأغطية الرأس؛ وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أنهم كان لديهم انثربولوجيا^(٥) وصفية خاصة فيما يتعلق بأغطية الرأس التى يمكن إرجاعها إلى

(١) İşli (H. Necdet); Ottoman Headgears, Eropean Capital Of Kültür Başkenti Yayınları Istanbul, ٢٠١٠, p٥٩ ,

(٢) Ibid ; p ١٣ , pl ١

(٣) Kaşgarlı Mahmûd ; Divan I lugat it Türk , çeviren Besim Atalay, Ankara TDK, ١٩٣٩, p٤٣٤

(٤) İşli (H. Necdet) ; Op Cit , pp ١٤-١٥ , pl ٢a , ٢b. ٢c

(٥) أنثروبولوجيا : هي علم الإنسان وقد انقسمت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما anthropos ومعناها "الإنسان" و logos ومعناها "علم". وعليه فإن المعنى اللفظي لإصطلاح الأنثروبولوجيا =

متطلباتهم واحتياجاتهم في الإنتماء وتوحيد المظهر والوقاية من البرودة والحرارة، وحب التملك، والتقليد، والتزيين، والاحتشام التي كانت تتغير حسب الوقت والمكان^(١).

واستمر مسمى بورك ومسمى سربوش بأشكاله العديدة في التاريخ التركي حتى بعد انتشار الدين الإسلامي عند الأتراك، الذي أدخل العديد من المسميات والهيئات الأخرى، وقد كان سلاجقة الأناضول والتي تأسست دولتهم عام ٤٧٠ - ٥٧٠٨ / ١٠٧٧ - ١٣٠٨ م.

بمدينة قونية ذات الأراضي الخضراء المنبسطة التي احتضنت وتأثرت بروح وفلسفة وأفكار الشيخ الصوفي جلال الدين الرومي رمز التسامح بين العرب والعجم والذي أدى بطبيعة الحال إلى أن تكون معقلاً للشيوخ الصوفية الذين كان لهم مسميات لأغطية رؤوسهم خاصة بهم التي يتم تناولها بالتفصيل لاحقاً فعلى سبيل المثال فقد أهدى السلطان علاء الدين كيكاباد غطاء الرأس المسمى الكولاه من خلال الشيخ شهاب الدين السهرودي الصوفي البغدادي^(٢) الذي اعتمره أمام ممثلي السلطات العليا

= (anthropology) هو علم الإنسان. وتُعرف الأنثروبولوجيا تعريفاتٌ عدة أشهرها علم الإنسان أعماله وسلوكه، وأنه كائن حضارى إجتماعى .

- حسين فهميم : قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ علم الإنسان - ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٤ - ١٥

(١) عليّة احمد عابدين: دراسات في سيكولوجية الملابس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ص ٨٨ - ٨٩

- ايهاب فاضل ابو موسى : التثقيب والتذوق الملبسى ، دار الزهراء ، الرياض ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ص ٠ - ١٥٢ : ١٤٤

- İşli (H. Necdet); Op , Cit , p ١٣

(٢) شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية وصفه الذهبي بـ «الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحّد الصوفية» توفي شهاب الدين في بغداد في أول ليلة من سنة ٦٣٢هـ، ودفن فيها، وبني على قبره منارة .

عبدالله بن صالح البرّاك: الإمام السُّهَرَوْردي (عمر بن محمد م سنة ٦٣٢هـ) وآراؤه الاعتقادية مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا ، كلية دار العلوم ٢٠٠٦م ، ص ١٠

الهامة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى ظهور الطوائف الدينية الصوفية الأخرى مثل البكتاشية وغيرها^(١).

ويرى المؤلف والباحث التركي Necdet أن هناك غطاء رأس خاص بسلاجقة الأناضول وجدناه في القرن ٩/ ١٥م.

يسمى الكيكوبادى وهو عبارة عن طاقية أو عرقية لاطئة على الرأس ملفوف حولها شاش أبيض وهى تسمى بالتركية تولبند، وإذا انسدل منها طرف من خلفها فيتكون شكل العمامة التى تسمى بالتركية دستار كاكل ذات الذوؤابة أو العذبة والتي تسمى بالتركية Cepheye Kakül ، وخير الأمثلة على هذه الهيئة موجودة أعلى قمة تابوت حجرى بداخل المقبرة المرادية في بورصة. لوحة (٣)^(٢).

كما ظهر أيضا في ذلك العصر عمامة (دستار) من القماش الأبيض التولبند مبروم بشكل بارز حول بعضها وقد أطلق عليه دستار دولامة طبقا لهيئته التى وجدت منفذة ملفوفة حول طاقية وذلك أعلى قمة شاهد قبر السلطان علاء الدين بمدينة قونية. لوحة (٤)^(٣).

(١) ومن الجدير بالذكر أن لكل طائفة دينية عمامة خاصة بها، وعندما تصف عمامة لابد أن تذكر اسم الطائفة أولا :مثل عمامة طائفة البكتاشية (Bektasi) ومن الضروري أن نذكر أسم الطائفة tac name واحدة تلو الأخرى لتعدددهم وكثرتهم فهم يزدوا عن ١٨٠ اسما دينيا طائفيا ، فمثلا الطريقة الخلوتية (Halveti) لها ما يزيد عن ٤٠ طائفة والطريقة الشعبانية اعتمدوا عمامة مشابهة لعمامة طائفة الخلوتية. ولقد قبلت اثني عشر طريقة اعتمام كل أنواع العمامم المشابهة مثل الطريقة القادرية، والدسوقية، والبراهيمية، والرفاعية، والشاذليه، والنقشبندية، والشعبانية وغيره، ماعدا الطريقة المولوية التي لبست Sikke وهى العمامة الطويلة المخروطة الشكل والطريقة البكتاشية التي لبست عمامة فخيري== (Fahiri) وهذا الموضوع سوف افرد له دراسة مستقلة تتناول تلك الطرق ودلالات اغطية رؤوسها

- Gölpınarlı , Abdülbaki; Melamilik Ve Melamiler, Milenyum Yayınları, Istanbul, ١٩٩٢ , pp ٣٢١-٣٢٢

(٢) İşli (H. Necdet) ;Op . Cit , p ٢٤ , p ١٩

(٣) Ibid , p ٢١ , pl ٦

ثم قامت الدولة العثمانية التي استمدت وتأثرت بكل هذه الهياث ومسميات أغطية الرأس مما ترتب على ذلك إلى عدم اجبار مواطنيها (الروم - الكردستانيين - الصربيين - الأرمنين - العرب - اليهود - البوسنيين - الألبانيين - التتار - ألبوماك - الشراكسة)^(١)، على تغيير عمامتهم وخير الأمثلة على ذلك: ان مجتمع الروم كانوا يعتمرون العمامة السوداء لتغطية رؤوسهم وخصوصا عندما كانوا متواجدون في الكنائس أو الجنائز وهذا كان منتشر في اسطنبول كما قبلوا كل أنواع العمام لكونها تقليداً إسلامياً من تقاليد سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم"؛ لذا صار كل الأتراك الذين لهم نفس العقيدة على نفس التقليد، وأنه في حالة أن يقوم شريف من نسل الرسول بذنوب فإن عقوبته هي خلع عمامته الخضراء من على رأسه وتقبيلها واعادتها إلى صاحبها وهذا التقليد عندهم رمزاً للاحترام والرفعة والسمو^(٢).

لقد استطاع السلاطين العثمانيين باعتبارهم شخصيات قيادية عليا، التأثير في كل أجزاء الامبراطورية الذي ينال الحماية واتباع تدرج الهيكل الوظيفي والتمسك بالعادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الدينية التي كانت لها غاية الأهمية في وضع قوانين منظمة للملابس بشكل عام ولأغطية الرأس بشكل خاص حيث نال غطاء الرأس السلطاني أكبر الاهتمام والتقدير والإحترام ووضعوا كل هذه القوانين في كتاب قانون نامة Kanun Namee ، حيث أن قوانين اللباس الرسمية كانت غاية في التعقيد وخاصة في كثرة الوظائف الموجودة في ذلك العصر، بالرغم من أن هذه القوانين كانت على غرار القوانين التي كانت موجودة ومستعملة عند معاصرين في العديد من المناطق العالمية، مما يؤكد أن هذه الدراسة لها أبعاد سياسية ومعتقدات دينية في أن الدولة العثمانية مهيمنة على موظفيها ورعاياها، مما عكس مدى قوة

(١) سمح العثمانيون لليهود والمسيحيين أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تحت حماية الدولة، وفقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية وبهذا فإن أهل الكتاب من غير المسلمين كانوا يعتبرون رعايا عثمانيين لكن دون أن يُطبق عليهم قانون الدولة.

(٢) Uzunçarşili, İsmail Hakki; Osmanlı Devleti'nin İlmiye teşkilatı, Ankara, ttk, ١٩٦٥, p٤٣٤

الدولة فأصبح اللباس بشكل عام وبالأخص أغطية الرؤوس علامة واضحة وبارزة؛ لتدرجات الرتب الرسمية والتدرج الطبقي الاجتماعي، كما أصبحت من أهم الأشياء التي يكافئ بها السلطان أو الحاكم العثماني.

كما أفادت قوانين اللباس إلى وجود قواعد معينة لأغطية الرأس في إعطاء الوضع الشرعي أو المنزلة الرفيعة والإحساس بالهوية والتفرقة بين أهل الذمة والمسلمين والشيوخ وأصحاب الطرق الصوفية المختلفة والحرفيين أو المهنيين المتصلين بالمجتمع العثماني حتى يكون لهما امتيازات دينية واجتماعية، كما حددت من يعتمر كل هذه الهيئات من الحاكم والرجال والنساء وغيره من طبقات المجتمع المختلفة، مما ساعد على التعرف على انطباع الآخرين من ناحية الفرد الاجتماعي، ومهنته ودوره^(١)، مع بيان حالته الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك السياسية وبهذا تعطى انطبعا كاملا تقريبا عن كينونة تلك الشخصية^(٢) كما جعل لكل مناسبة على حسب أهميتها غطاء رأس خاص بها فاعتمار العلماء ورجال الدين غطاء رأس خاص بهم، بينما حراس وخدم وموظفو القصر السلطاني وفرقة الإنكشارية غطاء رأس مختلف خاص بهم، بينما تعتمر أصناف عادية من الطبقة الاجتماعية العثمانية هيئات بسيطة من العمامة كل على حسب طبقته الاجتماعية، مما أوضح الوضع الاجتماعي والإقتصادي لديهم وتميز أنفسهم عن بعضهم البعض؛ وللإشارة إلى تعريف طائفتهم الاجتماعية^(٣)، مما كان دليلاً واضحاً ومباشراً للقوى الاجتماعية^(٤)، ثم حدث الكثير من التغيرات بين تأسيس الامبرطورية وعهد السلطان سليمان القانوني

(٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) اذ شهد هذا العهد نقلة إجتماعية وحضارية، ثم تغيرت قوانين اللباس في نهاية القرن السابع عشر (١٦٨٣-١٨٠٨م)، حيث أعلنت قوانين لباس جديدة، وكان ذلك نتيجة إلى دخول العديد من الثقافات الأوروبية والأسبوية والإنجليزية والفرنسية، مما حدث رواج فكري وإقتصادي وإجتماعي

(١) عليا احمد عابدين: المرجع السابق، ص ٣٧

(٢) ايهاب فاضل ابو موسى: المرجع السابق، ص ٤٨

(٣) عليا أحمد عابدين: المرجع السابق، ص ٩٨، ص ١٠٧

(٤) المرجع نفسه: ص ٣٨

وسميت هذه الفترة بالزنبق (زهرة اللالا)^(١) ، مما أدى إلى تغيير شكل المجتمع والاقتصاد والقوى السياسية الحاكمة، كما دخلت مجموعات جديدة تجارية عثمانية، نتيجة الى انفتاح الدولة على العالم الشرقي والهندي والإيراني، مما سمح بوجود العديد من التجار الذين كانوا متصلين مع الجاليات اليونانية والأرمنية، والتي استطاعت بطبيعة الحال أن تخدم القصر العثماني في استانبول من حيث: جلب اللباس ومستلزمات الإحتفالات، مما ترتب عليه خلق سوقا واسعا للباس بشكل عام، وبالأخص أغطية الرؤوس ومستلزماتها مثل هيئات العمام المختلفة والقنزعات والشرايات وأشكال الصرغوج المختلفة، وهذا كان مسجلا داخل مخطوط سورنامة وهبي. لوحات (١٥٨، ٢٠٦).

وقد حدد المرسوم التفاصيل الدقيقة والمقاييس والأنواع الاقمشة المستعملة والمستخدمة في اللباس عامة ولباس الرأس بشكل خاص وكانت قوانين غير متواضعة، أما قوانين اللباس في عهد السلطان عثمان الثالث (١١٦٨-١١٧١هـ/ ١٧٥٤-١٧٥٧م) ومصطفى الثالث (١١٧١-١١٨٧هـ/ ١٧٥٧-١٧٧٤م) وكان عهديهما في وقت انتشر فيه الضعف السياسي الداخلي وبدأت الإضطرابات الخارجية، مما ترتب بعدم حدوث تغيير في أغطية الرأس ويؤكد ذلك أن السلطان عثمان الثالث

(١) تألق الفن التركي بترائه العريق في عهد السلطان التركي الشاب مراد الثالث الذي عرف عصره بعصر- الزنبق، أي المزهرة بشتى أنواع الفنون، كالزهور المتنوعة في البستان، لم يعد التصوير يأخذ حيزا واسعا من إهتمام المصورين في هذا العصر، لأن الموضوعات القومية شغلت بال المصورين وسلاطينهم التي رعتها ببذخ بالغ بالأموال واستقدام الفنانين من دول خارجية «إيطاليا، هولندا، النمسا، فرنسا» مما أضفى على التصاوير العثمانية نكهة مختلفة إن كان من ناحية الألوان أو واقعية تجسيد الأشخاص،=وأثر أسلوب الباروك الإيطالي على الكثير من المنمنمات التركية، إضافة إلى ولادة التصوير التركي من التصوير الفارسي والصوفي الذي رشف من ينبوعه كل الطرز والأساليب فجمع كل هذا التمازج بين الفارسي والتركي والأوروبي متخذاً حداثة وجمالية فن الباروك ليستخلصه بفن واحد هو الفن الباروكي التركي.

- آمال عرييد : من عصر التوثيق... إلى عصر الزنبق والباروك منمنمات عثمانية، مجلة الكويت ، العدد ٣٦٣ ، ٢٠١٠ ، الموقع متاح على :

- <http://www.kuwaitmag.com>

عندما اعتلى عرشه عن سن يناهز ٥٦ سنة كان يراقب شوارع اسطنبول متنكراً فلاحظ ملابس النساء والرجال غير متلائم مع طبقاتهم الاجتماعية أو رتبهم الوظيفية. وكان ورثته السلطان مصطفى الثالث الذى بدأ عهد الانطلاق في لباس الرأس، ثم جاء أحمد الثالث ابن السلطان مصطفى الذى وجه إلى قوانين اللباس بفضل حكمه القوى فهذا السلطان أرسل شخص يذيع على الناس في وسط العاصمة إعلان التعليمات الجديدة للباس، وبالأخص الأرمن واليونانيين والدراويش وأهل الذمة مثل اليهود والمسيحيين، وإعادة تنظيم لباس الفراء الذى كان مقصوراً على الطبقة الغنية فقط بالإضافة إلى أنه جعل اللباس الذى يخص رأس النساء أكثر ارتفاعاً وضخامة، وهذه القوانين التي كانت في عصر هؤلاء السلاطين أثرت ورسخت عرشهم وأصبح الحكم أكثر في قبضتهم، ثم سعى السلطان سليم الثالث للإبقاء على الانضباط الاجتماعى بطلب اللباس البسيط، دون التبذير فيه، وبالأخص الزوجات الذين يفلسن ازواجهن والذي أدى إلى الفساد والرشوة، وركز على التجار الذين كانوا يشترون سلع أجنبية، ويتغافلون عن الانتاج المحلى، وقد كانت هذه المشكلة ظاهرة عامة في بداية تأسيس الدولة العثمانية، ثم ظهرت بقوة في عهد هذا السلطان؛ لذا نجد انه اعتمر أغطية رأسه وملابسه من صنع اسطنبول وأنقرة وأرغم حراسه وخدمه على زي مصنوع من الانتاج المحلى.

وبالرغم من ذلك كان الرجال العثمانيون المتواجدون في المدينة يرتدون لباسا مصنوعا صناعة هندية وإيرانية، متغافلين الزي المحلى الامر الذي واجهته قوانين اللباس بشكل عام نظرا لأبعاده الاقتصادية، مما جعل السلطان سليم الثالث يقوم بتوجيه دعوة تحث على التعاون والدعم بين الصناع والنقابات العثمانية التي كانت في ذلك الوقت يعمها الفساد والفوضى نتيجة لما كانوا يعانونه من فرض الضرائب؛ التي وجهت لتمويل الحروب الفاشلة في أواخر القرن ١٢-١٨م بديلا عن دعم الصناع وتمويلهم، رغم وجود من شجع الدعم الشعبى الواسع، ثم حدثت ثورة اللباس في أوائل القرن ١٣-١٩م، وقد استطاع السلطان محمود الثانى ٤ جمادى الآخرة ١٢٢٣هـ / ٢٨ يوليو ١٨٠٨م / ١٨ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ / ١ يوليو ١٨٣٩م) أن يسن

قوانين جديدة للباس حتى يخلق حكم ملكى قوى وبدأت هذه الخطوة عام ١٨٢٦م - ١٨٢٧م ، مما ترتب عليه تغير في غطاء الرأس الذى كان عبارة عن طرايش، وبالتالى لم يقلد هذا السلطان اسلافه في اللباس في الممارسات القديمة؛ لتمييز كل مجموعة عندما وضع الطرايش المماثلة على رأس كل المسؤولين إلا الوزراء الذى سمح لهم بارتداء غطاء رأس له ملامح مميزة.

ويعد هذا نوع جديد من السيطرة السلطانية، حيث كان كل المسؤولين متساوين في مظهرهم؛ ولتعزيز عرشه خلق مجموعة من الأوسمة والميداليات كوسائل تمنح عند الترقى أو التدرج الوظيفي، وقد اضيف هذا التغير سمة رائعة وهى إعادة هيكلة الامبراطورية العثمانية بشكل رمزى ولم يعد دينى في امتيازاته؛ لذلك تشابهت اغطية الرؤوس مع بعضها البعض التى كانت في القرون السابقة، والتى كانت كل الامتيازات والسيادة للموظفين العسكريين والبيروقراطيين كما استخدمت للفرقة ما بين المسلمين وأهل الذمة.

ومن خلال تغيير لباس الرأس عام ١٨٢٩م ازيلت كل هذه القوانين بين المسلمين وغير المسلمين، مما ساعد علي وجود فئة جديدة بدون علامات مميزة الامر الذي جعل كل المجتمع متوحدا لمدة طويلة يتساوي فيه الجميع مع السلطان، وهذا التشابه المظهرى كان دليلاً على الديموقراطية.

كما أوجدت هذه القوانين الجديدة رد فعل حسن عند المسلمين وغير المسلمين، مما أدى إلى إنشاء دولة عثمانية مدنية جديدة، وبالمقارنة مع هذا القبول المتلهف بالطبقات الاجتماعية المختلفة، رفض عمال وأصحاب الحرف المتعصين دينيا ارتداء ذلك الطربوش البسيط، الذى يخفى انتسابهم الدينى حيث كان البعض منهم يعتنق المذهب الصوفى، كما كانوا يرفضون سياسة السلطان محمود الثانى المختلفة عن اسلافه، لذا طلبوا من السلطان أن يكون لهم غطاء رأس مميز ، ولكن فيما بعد انتشر اعتمار الطرايش بينهم وذلك من خلال لف عصبة من القماش حوله.

كما عدلت قوانين الجيش من خلال غطاء الرأس فاعتمروا الطرايش، بينما كان رجال الجيش الذين يخدمون غربى البحر المتوسط أمروا بلف قماش ملفوف حول

الطربوش حتى يميز بين المدني في الجيش وقوات الجيش البحرية، وقد سنت هذه القوانين في سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م. التي كانت بداية الانهيار لفرقة الانكشارية، كما أصبحت هذه القوانين تعكس الرؤية الواضحة للديموقراطية والمجموعة الاقتصادية أثناء القرن ١٢هـ / ١٨م، وبالتالي أصبح الطربوش الزى الموحد للرأس، مما خلق مجتمعا جديدا غير طبقي وديموقراطي^(١).

وترتب على ذلك معرفة مدى أهمية أغطية الرأس العثمانية، وبالأخص التي كانت بالعاصمة اسطنبول^(٢)، وبالتالي كانت مرآة لأغطية الرؤوس المتنوعة، مما أدى بطبيعة الحال إلى وجود مسميات شوارع وأسماء بوابات متفرعة من أهم وأكبر البازارت " الأسواق " المعروفة خلال العصر العثماني ومنها البازار الكبير كابليشارشي Kapalıçarşı المتفرع منه أهم ثلاث بوابات من أصل ثمانية عشر بوابة، وهم كالآتي: بوابة القالباقشلباشي KalpakÇılbasi، وبوابة طربوشلر Terpuşcular، وبوابة الفيزلر Feşçiler، كما يوجد حول هذا البازار العظيم أسماء أماكن متعلقة بأغطية الرأس مثل: فيزلر Feraceilers Feşçiler،

(١) Quataert (Donald); Clothing Laws State & Society in Ottoman Empire ١٧٢٠-١٨٢٩, International Journal of middle east studies, Cambridge uni press, vol ٢٩, No ٣, ١٩٩٧, p:٤٠٣:٤٢٥

(٢) اسطنبول بالتركية الحديثة İstanbul وبالتركية العثمانية استانبول المعروفة باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِينِيَّة والأَسْتانة وإسلامبول وهى أكبر المدن في تركيا تقع إسطنبول على مضيق البوسفور وتمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم " تراقيا"، والجانب الآسيوي أو " الأناضول"، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين كانت هذه المدينة عاصمة لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية، والبيزنطية واللاتينية، والعثمانية، وفي معظم هذه المراحل، أحيطت المدينة بهالة من القداسة، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول المجاورة، فكانت مدينة مهمة للمسيحيين بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين المسيحي، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة للخلافة الاسلامية حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤

- الحموى : المصدر السابق، مج ١، ٣٢١

وطاقلر Takkeçiler، وطوغلر Tuğcular، قالباكلر kulpakcılar، وسربوشلر serpüscular أما عن الشوارع والميادين الأثرية التي تحمل عناوين متعلقة بأغطية الرأس بلغ عددها ثلاثون شارعاً ومن أهمهم:

ميدان آكسراى Aksarikli Alley، ميدان دال فيز Dalfez Alley، وميدان عرقجى Arakiyeci Alley، وشارع فيزخانه Feshane Street، وميدان فيزجى Fesçi Alley، وميدان اشكيرلك Işkirlak Alley، وميدان قلاوى Kallavi Alley، وميدان قالباجى حسن Kalpakçi Hasan Alley، ميدان قالباجى Kalpakçi Alley، ميدان قاووقلو حميدى Kavuklu Hamdi Alley، ميدان قاووقجو حسن Kavukçu Hasan Alley، ميدان قوقا Kuka Alley، ميدان صارقجى Sarikci Alley، ميدان طاقجى Takkeci Alley، وميدان طيلسان Taylasan Alley، وميدان طولغو Tolga Alley، وميدان اسكوفجى^(١) ÜskÜfÇÜ Alley

كما كانت أغطية الرأس العثمانية لها أهمية بالغة عند الكتاب والمؤلفين لذا عني الكثير منهم بدراسة مثل تلك الموضوعات، ولكن كانت دراستهم محصورة وغير موثقة أحيانا بصور، واغفل البعض الآخر منهم شرح رسوماتهم ومعلوماتهم بطريقة وافية تبرز تنوعها وأسلوب صناعتها وزخرفتها ومن هؤلاء:

مستقيم زاد سعيد سلمان سعد الدين أفندي (Möstakimzîde Seyyid Sölyman Saadeddîn Efendi): المتوفي عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م، والذي عمل كاتباً للطرق الصوفية ومدرسا بها "Tâc-nâme"، وزيا بيه "ziya Bey" (من مدرسة الفن الجميل في ذلك الوقت): ت عام ١٣١٥هـ حيث نشر دراسات تضمنت رسومات ومعلومات وصفية عن أربعين طريقة دينية صوفية ويعد صاحب أول وأوحد مخطوط يتضمن أربعين غطاء رأس مميز لكل طريقة دينية صوفية. لوحة (٦)^(٢)، والباحث عزت قمبراجى İzzet kumbaracılar: ت عام ١٩٣٧م،

(١) Nuri,O. Ergin; İstanbul Belediyesi Şehir Rehberi, İstanbul , ١٩٣٤, p٤٣

(٢) İşli (H. Necdet) ; Op cit p ٢٧ , pl ١٢

صاحب كتاب سربوشلر : Serpûşlar ، الذى حاول المزج بين الملابس وأغطية الرأس في قصر طوبقابي Topkapı ، ونشر هذا الكتاب بعد موته من خلال ابنه د/ سادات قمبرجلر Sedat kumbaracılar ، عام ١٩٧٩ م، حيث أضاف إليه بعض التعديلات ولكن بدون مستندات أو صور مستخدمة تتخلل الكتاب؛ لذا لا بد أن يقرأ الكتاب بإنتباه وحذر.

لوحة (٧)^(١)، وكمال الدين روناقوجلو

Cemaleddin server Revnakoğlu: المتوفي عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م ، والذي قام برسم نماذج لأغطية الرأس الموجودة أعلى قمم شواهد القبور^(٢)، وإسماعيل فازل Ismail Fazıl Ayanoglu : ت عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، قام برسم خمسة نماذج فقط لأغطية الرأس^(٣)، وعبد الباقي جلبنارلى Abdülbaki Gölpinarlı: ت عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م. رسم عشر نماذج لأغطية الرأس للطريقة المولوية^(٤)، البروفيسير سهيل أنور A.süheyl ünver : ت عام ١٩٨٦ م، قام برسم هيئة العمامة العرف.

شكل (١٣)^(٥) وما يجب التنويه عنه أهمية الطوائف الحرفية أو المهنية لأغطية الرأس التى لعبت دورا مهما بين السلطات والرعية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى؛ لذا كانت الحكومة عندما تجد نفسها عاجزة عن خلق جهاز جديد للقيام بوظيفة ما، فقد كانت تجد نفسها ملزمة باللجوء إلى نفس الوحدات التقليدية السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لتكون بمثابة الصلة بينها وبين تلك الأعمال الإدارية التى كان يتعين عليها القيام بها، وهكذا واصل الشيوخ ممارسة وظائفهم في تبليغ أوامر

(١) Ibid ; p ٢٨ , pl ١٣

(٢) Revnakoğlu, Cemalettin server; tarikatlerin tarihine toplu Bir Bakış, kadirilik, yeni tarih Dünyası, ١٧ sep, ١٩٥٣, p ١٧-١٩

(٣) Ibid; pl ١٧-١٨-٢٠

(٤) Gölpinarlı , Abdülbaki; Melamilik Ve Melamiler, p ٤٣

(٥) İşli (H. Necdet) ; Op cit , p ٣٨ , pl ٢٣

الحكومة إلى أعضاء طوائفهم؛ لذلك وجد الكثير من الأسواق والأماكن سواء في اسطنبول أو القاهرة المسماة بأسماء الطائفة التي تقطن فيها مثل بائعي الطواقي، بائعي القاووق، بائعي الدولامة وهكذا...، وعندما يتجمع هؤلاء التجار معاً عادة في الأسواق فقد كان لهم شيوخا، وقد تكون هذه الطوائف مجرد تجمعات إدارية.

وكان رئيس الهيئة وهو عادة أعلى التجار يسمى في اسطنبول كخيا وفي القاهرة يعرف باسم الشهبندر، يباشر سلطانه على التجار وأرباب الحرف المختلفة لأغطية الرأس^(١)، كما ظهر تماسكا ملحوظا اتصفت به هذه الطوائف، وبذلك قد حافظت على مستوى حرفة أغطية الرأس وأوقفت المنافسة وخدمت أغراض مجتمع يقوم على تأمين أفرادها وأقامت العلاقات بينهم؛ لذا كانت الطوائف حرة نسبيا وتتمتع بحكم ذاتي، وهذا أدى إلى تميز هذه الحرفة أو الصناعة في العصر العثماني برغم من تأثرها بالظروف الاقتصادية العامة وبالإجراءات المحلية^(٢).

وقد كانت هناك علاقة غاية في القوة ما بين هؤلاء الحرفيين لأغطية الرأس وبين العلماء والنظم الصوفية؛ لذا كانت لهذه النقابة صلة وثيقة بالعلماء وبالنظم الصوفية، ويقال أن بعض النقابات مارست حرفتها داخل حرم مسجد وكانت الاجازة التي تمنح للصبي تصاغ في قالب ديني^(٣)، وهذا ما سوف توضحه الدراسة.

وقد أدى هذا النظام إلى دقة صناعة أغطية الرأس والإرتقاء بها، بالإضافة إلى أنها كانت توفر الوسيلة، التي تمكن أقل المواطنين شأنًا من التعبير عن غرائزه الاجتماعية والإطمئنان إلى مكانته في النظام الإجتماعي، ومما كان ينمي الوظيفة الاجتماعية لهذه الطوائف (حرفة) أغطية الرأس ما لها من إرتباطات مع إحدى الطرق الدينية الكبرى،

(١) صلاح هريدى: الحرف والصناعات في عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص

ص ١٦-١٧

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٥

(٣) سيد محمد عبد العال: الحياة الدينية في عصر- محمد علي ١٨٠٥-١٨٤٨ م، رسالة دكتوراه، جامعة

اسيوط، كلية الآداب بقنا، ١٩٩٢، ص ص ٢٢٣-٢٢٤

- صلاح هريدى: المرجع السابق، ص ٢٩

وكان لهذا الارتباط أثره في الأمانة والإخلاص والواجب؛ مما أدى بطبيعة الحال إلى تقدم هذه الحرف^(١) المتنوعة ما بين حرفة (طائفة) الصارق أو الصارقجن Sarikçıyan، وحرفة (طائفة) القاووق أو القاووقجن Kuvukcuyan، وحرفة (طائفة) الشيخ Seyh-í Araser، وحرفة (طائفة) خياطة الدولامة أو الدولاماچين Hayyâtin-í Dolamacıyan

ولكن للأسف انهارت هذه الحرف أو الطوائف في استانبول ومصر، والتي كان ولاء الفرد فيها موجه نحو الطائفة أو المجتمع الصغير الذي ينتمى إليه، وأصبح ولاء الفرد نحو الدولة من خلال توحيد هيئات أغلبية الرأس فاعتمرت كل فئات المجتمع العثماني الطربوش، وبالتالي تحولت الإمبراطورية العثمانية في اسطنبول ومصر إلى أمة ذات قومية متكاملة، ومما ساعد على ذلك وسائل الاتصالات المتقدمة بين هذه المجتمعات، كما انشأ محمد علي باشا وإلى مصر مصنعاً مخصصاً لصناعة الطرايش، مما أدى إلى إفساح نظام الطائفة الطريق لنظام المصنع؛ لذا فقد فقد نظام الطائفة نفوذه، وفقد ما بقى منها من نفوذ قديم، وفي عهد محمد سعيد باشا

(١٢٣٧-١٢٧٩هـ/١٨٢٢-١٨٦٣م) ألغى حق الشيخ في فرض الغرامات على أعضاء الطائفة، كما تم إلغاء ما بقى من الطوائف عام ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م^(٢)

التي كان يبدأ السلم الوظيفي في قاعدة الحرفة بالصبي وينتهي في القمة بالشيخ الرئيس، وفي الوسط الأسطوات أو المعلمين والعمال وكانت لكل طائفة تتكون في هيكلها من ستة عناصر هم:

الصبي، العريف، والمعلم، والأسطى، والنقيب، والشيخ^(٣)، وهذا ما سوف تبرزه الدراسة فيما سيأتي.

(١) المرجع نفسه : ص ص ٣٨-٣٩

(٢) صلاح هريدي: المرجع السابق، ص ٣٤

(٣) نبيل السيد الطوخى : طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر-

١٨٤١-١٨٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٩

